القيـــــم وصـــــراع الاجيـــــال في المجتمـــــع العراقـــــي

http://www.arabpsynet.com/Documents/DocQassimGenConfValuesInIq.pdf

أ.د. قاســـــم حسيـــن صالـــــح
مؤسس ورئيس الجمعية النفسية العراقية
qassimsalihy@yahoo.com

الجـــــــزء الاول

تساؤلات:

* ما المقصود بالقيم؟
* هل القيمة هي: معتقد؟ رأي؟ اتجاه؟ موقف؟ ضمير؟
* هل يمكن ان نضع علامة (=) بين القيم والسلوك،بمعنى ان الشخصية هي حاصل ما يحمله الانسان من قيم؟
* وهل يصح القول ان ازماتنا السياسية ناجمة عن ازمة قيم؟أم ان نوعية ما نحمله من قيم ومعتقدات هي التي انتجت ما نعيشه الآن من سياسة؟
* لنفترض ان نظرية صراع الاجيال صحيحة..فكم جيل لدينا الآن في المجتمع العراقي..اثنان ام ثلاثة؟.وهل الصراع فيما بينها ..صراع قيم؟
* وهل ان السبب الرئيس في خصوماتنا..صراعاتنا..المذهبية،القومية...يعود الى اختلافنا في قيمنا ومعتقداتنا؟

هذه التساؤلات تتباين اجاباتها بتباين اجتهادات اصحابها..واجتهادنا نوجزه بالآتي:

القيم هي توليفة معقدة جدا من افكار،معتقدات،اتجاهات..قد يصل عددها مئات ،لكن يمكن ان نضغطها في ستة اصناف:

1. قيم سياسة..انتماء لحزب مثلا
2. قيم اقتصادية..الانشغال بالتجارة مثلا
3. قيم نظرية..علوم تطبيقية وعلوم انسانية
4. قيم اجتماعية..المساعدة ،الاهتمام بالنازحين مثلا
5. قيم دينية ..عبادة ،صوم،طقوس
6. قيم جمالية،فن ،موسيقى

هذه الأصناف الستة تتشكل في داخل كل فرد بمنظومة نسميها المنظومة القيمية، والاختلاف بين الافراد يكون في ثلاثة امور:

الاول:ترتيب القيم من حيث قوتها:فالمنشغل بالاقتصاد تكون القيم الاقتصادية عنده هي الاعلى والأقوى،والقيم الجمالية عنده قد تأتي بالأخير،فيما ترتيبها عند الفنان يكون بالعكس..الجمالية هي الأعلى والأقوى..وقل الشيء نفسه عن السياسي ورجل الدين والمصلح الاجتماعي.

القيم هي توليفة معقدة جدا من افكار، معتقدات، اتجاهات.. قد يصل عددها مئات ،لكن يمكن ان نضغطها في ستة اصناف

قيم سياسة..انتماء لحزب مثلا
قيم اقتصادية..الانشغال بالتجارة مثلا
قيم نظرية..علوم تطبيقية وعلوم انسانية
قيم اجتماعية..المساعدة ،الاهتمام بالنازحين مثلا
قيم دينية ..عبادة ،صوم،طقوس
قيم جمالية،فن ،موسيقى

ترتيب القيم من حيث قوتها:فالمنشغل بالاقتصاد تكون القيم الاقتصادية عنده هي الاعلى والأقوى،والقيم الجمالية عنده قد تأتي بالأخير،فيما ترتيبها عند الفنان يكون بالعكس

الثاني:نوع وكم هذه القيم..عند افراد تكون قيم اصيلة راقية ومتنوعة(المثقف مثلا)،وعند آخرين تكون عادية ومحدودة (الفلاح مثلا).

الثالث:تفاعل القيم:عند افراد تكون العوازل بين اصناف هذه القيم شفافة تسمح بالنفاذ والتفاعل والانفتاح واستقبال قيم جديدة،وعند آخرين تكون اشبه بالكونكريت لا تسمح بالتفاعل ولا تستقبل قيما جديدة..وخذ مثلا على ذلك رجل الدين المتشدد والأب المحافظ بشكل متطرف.

نوع وكم هذه القيم..عند افراد تكون قيم اصيلة راقية ومتنوعة(المثقف مثلا)،وعند آخرين تكون عادية ومحدودة (الفلاح مثلا).

1.1.آليات المنظومات القيمية

تعمل القيم في داخل الانسان بخمس آليات سيكولوجية – معرفية، هي:

الأولى:اصدار احكام بالتفضيل من عدمه..بدءا من تفضيل انسان على انسان،دين على دين،قومية على قومية طائفة على طائفة..انتهاءا بابسط التفضيلات..لون على لون،(مثال: البنات يفضلن الوان الأحمر ،السيدات اللون الاسود..الرجال يفضلون الابيض والبيج/وفي الأكل..الرجال يفضلون اكل القوزي فيما النساء تفضل اكل الكباب!).

الآلية الثانية الأهم: تمتلك القيم قوة داخلية لانشعر بها ولا تخطر على بالنا بالرغم من انها ،تتحكم بسلوك الفرد،وتحدد اهدافه وتوجهه نحو تحقيقها..لتصل بالنتيجة ان اختلاف الافراد في السلوك ناجم عن اختلافهم في القيم ،ولك ان تلاحظ ذلك بمقارنة سلوك رجل الدين بسلوك الفنان.

الآلية الثالثة: تعمل القيم على تزويد اعضاء المجتمع بمعنى الحياة، والهدف الذي يجمعهم من اجل الحياة..فهي اشبه باللاصق في النسيج الاجتماعي،او لنقل..اشبه بالاسمنت الذي يشد طابوق عمارة،اذا افترضنا ان العماره هي المجتمع وان الطابوق هم افراد هذا المجتمع.ما يعني ان القيم اذا كانت قوية يكون المجتمع متماسكا وان كانت ضعيفة فانه ينهار كما تنهار العمارة.

الرابعة: للقيم علاقة بالتعصب بوصفها معتقدات..فغير المتعصب لمعتقده يقبل الآخر،والمتعصب لمعتقده يرفض الآخر وقد يؤذيه.(ما حصل بين عامي 2006 و2008 في العراق ،الذي اطلق عليه احتراب طائفي هو في حقيقته حرب معتقدات).

الخامسة:القيم هي التي تشكل لدى الانسان منظورين:منظوره نحو الحياة..ما اذا كانت تستحق ان تعاش فيتعلق بها،او لا تستحق ان تعاش فيؤدي به الى الاغتراب.والثاني، منظوره نحو الكون..من يؤمن بأن للكون خالق وان هنالك حياة اخرى ومن لا يؤمن بذلك..ومن يكون على طريقة بطل رواية الحب في زمن الكوليرا حين سأله صاحبه:هل تؤمن بالله،فاجابه..كلا، ولكنني أخاف منه!.

تمتلك القيم قوة داخلية لانشعر بها ولا تخطر على بالنا بالرغم من انها ،تتحكم بسلوك الفرد،وتحدد اهدافه وتوجهه نحو تحقيقها

ان اختلاف الافراد في السلوك ناجم عن اختلافهم في القيم ،ولك ان تلاحظ ذلك بمقارنة سلوك رجل الدين بسلوك الفنان

تعمل القيم على تزويد اعضاء المجتمع بمعنى الحياة، والهدف الذي يجمعهم من اجل الحياة

ان القيم اذا كانت قوية يكون المجتمع متماسكا وان كانت ضعيفة فانه ينهار كما تنهار العمارة

للقيم علاقة بالتعصب بوصفها معتقدات..فغير المتعصب لمعتقده يقبل الآخر،والمتعصب لمعتقده يرفض الآخر وقد يؤذيه

2.1. القيـــــم..وصـــــراع الاجيـــــــال

اذا اعتمدنا معيار علماء الاجتماع بان عمر الجيل يكون بين 30 الى 33 سنة ،فان لدينا الان في المجتمع العراقي ثلاثة اجيال:

الأول:جيل النظام الملكي والجمهورية الاولى،ولتكن سنة الاساس(1940)/ (يعني المولودين بين سنتي 1940 و1970)

الثاني:جيل الحرب العراقية الايرانية والحصار ،وسنته الاساس(1970)،(يعني المولودين بين عامي 1970 و2000).

الثالث:جيل النظام الديمقراطي وسنته الاساس 2000

ومع ان هذا التقسيم الافتراضي لا يعني وجود حواجز ،فواصل،فيما بينها ،وان التداخل فيما بينها موجود خاصة في نهاية عمر الجيل وبداية عمر الجيل الذي يليه..فانه يمكن تحديد خصائص اساسية تميز هذا الجيل عن ذاك،وعلى النحو الآتي:

القيم هي التي تشكل لدى الانسان منظورين:منظوره نحو الحياة..ما اذا كانت تستحق ان تعاش فيتعلق بها،او لا تستحق ان تعاش فيؤدي به الى الاغتراب

القيم تشكل لدى الانسان منظوره نحو الكون..من يؤمن بأن للكون خالق وان هنالك حياة اخرى ومن لا يؤمن بذلك

تعني المواطنة الولاء الى الوطن والانتماء الى جماعة، وشعور الفرد بأن ما يصيبهما يصيبه،واعتزازه بأنه ينتمي الى مجتمع تربطه به تاريخ،ثقافة،تقاليد..في وطن يوحدّهم..ويعتزون به

اما صدام فلأنه كان في الثمانينات قد اشاع بين العراقيين شعار (صدام هو العراق) ووضع علامة (=) بينه وبين العراق،وعندما انتهى تلك النهاية المخزية ضعف الشعور بالمواطنة عند العراقي،وانهار لدى بعضهم

ان ابن العشيرة او ابن الطائفة ينتخب شيخ عشيرته او ابن طائفته حتى لو كان منافسه حامل دكتوراه وحاصل على جائزة نوبل في

الجيل الأول:ان حجم هذا الجيل هو الاقل في المجتمع،وانه يعيش مرحلة الاحتضار،ويتوزع افراده بين ثلاث شرائح اجتماعية:

أ:سياسيون بيدهم السلطة والثروة

ب:متقاعدون بين ناشطين ومتفرجين ويائسين ،وضعوا المستقبل وراء ظهورهم

ج:مهاجرون الى بلدان العالم

الجيل الثاني:يمثل هذا الجيل الحجم الاكبر في المجتمع ،ويتميز بأنه ولد ونشأ في حرب امتدت ثمان سنوات،وحصار امتد 13 سنة،ويتوزع معظم افراده كالاتي:

أ.سياسيون في السلطة او في كيانات واحزاب سياسية

ب:موظفون

ج:عاطلون عن العمل

د.عاملون في اعمال حرّة

ه:منخرطون في قوات امنية،او ميلشيات

و:طلبة جامعات

ز:مهاجرون الى دول العالم

الجيل الثالث: هذا الجيل في حالة نمو وتوسع عددي،ويتوزع معظم افراده كالآتي:

أ.تلاميذ وطلبة ملتحقون بالمؤسسات التعليمية

ب.عاملون في سوق العمل

ج:اطفال شوارع

ان التشابه في القيم بين هذه الاجيال يشكل حالة ايجابية فيما اختلافها في القيم قد يؤدي الى صراع..أخطره حين تتعرض قيمه المشتركة اللاصقة التي توحده..الى التفكك..وتحديدا قيمة المواطنة.

بالمختصر، تعني المواطنة الولاء الى الوطن والانتماء الى جماعة، وشعور الفرد بأن ما يصيبهما يصيبه،واعتزازه بأنه ينتمي الى مجتمع تربطه به تاريخ،ثقافة،تقاليد..في وطن يوحدّهم..ويعتزون به. وتعني المواطنة بموجب الاعلان العالمي لحقوق الانسان 1948 (العدل والمساواة بين الافراد في الحقوق والواجبات).ولأهمية هذه القيمة في حياة الشعوب والاوطان فان اوربا اعلنت سنة 2005 السنة الأوربية للمواطنة .

3.1. فمـــا الـــذي حصـــل لقيمـــة المواطنـــة فـــي العـــراق؟

تعود بدايات التخلخل المؤثر للقيم العراقية الوطنية والاخلاقية الى عام 1980 بشن النظام السابق حروبه الكارثية غير المبررة،التي اضعفت قيمة المواطنه تحديدا ،تلتها ضربتان موجعتان،الأولى جاءت من حفرة صدام لحظة كان يفلّي شعر رأسه الضابط الأمريكي ادرنو،والثانية الأوجع جاءت من الحاكم الامريكي بريمر.

اما صدام فلأنه كان في الثمانينات قد اشاع بين العراقيين شعار (صدام هو العراق) ووضع علامة (=) بينه وبين العراق،وعندما انتهى تلك النهاية المخزية ضعف الشعور بالمواطنة عند العراقي،وانهار لدى بعضهم.اما بريمر فانه اجهز على المواطنه بان دق (التثليث) في شاصي العملية السياسية العراقية..ومن لحظة تأسيسه مجلس الحكم فانه اغلق طريق المواطنة الذي كان يوحّد معظم العراقيين،وفتح الطرق امام الهويات الفرعية. ولأن العراق مجتمع عشائري ومتعدد القوميات والاديان،ولأن قيم الماضي تتحكم في غالبيته ،وبأسلوب الثأر الجاهلي،فقد كان ما كان من حرب الهويات القاتلة لاسيما بين عامي 2006 و2008 حيث بلغ عدد الضحايا الابرياء في يوم واحد من

شهر تموز 2007 مائة ضحية.والكارثة التي دفع العراقيون ثمنها مئات الالاف من الضحايا وملايين بين نازحين ومهجرين ومهاجرين هي ان الانتخابات البرلمانية(2005 و2010 و 2014) تحكمت بها قيم الهويات الفرعية..مذهبية ،قومية،عشائرية،دينية.. لدرجة ان ابن العشيرة او ابن الطائفة ينتخب شيخ عشيرته او ابن طائفته حتى لو كان منافسه حامل دكتوراه وحاصل على جائزة نوبل في الاقتصاد السياسي..نجم عنها ،سيكولوجيا، حالة اغتراب عن الوطن وعن المجتمع بل حالة كره للعراق عند كثير من العراقيين.

الاقتصاد السياسي..نجم عنها ،سيكولوجيا، حالة اغتراب عن الوطن وعن المجتمع

الجـــــــزء الثانـــــــــــــي

انشغل الناس بالسياسة وانستهم مشكلة خطيرة تهدد المجتمع بالتفكك والوطن بالتقسيم،تتمثل بما حدث للقيم الوطنية والاجتماعية والاخلاقية من تغيير بعد (2003).

في هذه الحلقة من الدراسة،نركز في الصراع بين ثلاثة اجيال في المجتمع وما حصل للاسرة من منغصات واضطراب علاقتها مع الابناء.

1.2. فســـاد القيـــم فـــي الزمـــن الديمقراطـــي

بالمختصر :ثلاث اسوأ قيم اشاعتها السلطة في النظام الديمقراطي هي:

1.الفساد ،بأن شرعنته وصيرته الى شطارة بعد ان كان يعد في قيمنا خزيا

2.النفاق،..واقبح حالاته ان يظهر معمم او افندي ملتحي كوى جبهته يتبوأ مسؤولية في السلطة، يتحدث عن الحلال والحرام فيما يتهمه معمم آخر بالفساد.

3.الكذب.صحيح ان صفة الكذب تكاد تكون ملازمة للسياسة،لكنها عند السياسيين العراقيين، صارت كذبا مفضوحا لا يشعر صاحبه بالخجل.

والخطورة، ان المواطن العادي حين يرى ان من كان يعدّه قدوة،او ان حاكمه او المؤتمن عليه ،هو فاسد ومنافق وكذّاب..عندها سيقول لنفسه:(بقت عليّ)..وقد يقرأ على القيم السلام.

شرعنته (الفساد) وصيرته الى شطارة بعد ان كان يعد في قيمنا خزيا

اقبح حالاته (النفاق) ان يظهر معمم او افندي ملتحي كوى جبهته يتبوأ مسؤولية في السلطة، يتحدث عن الحلال والحرام فيما يتهمه معمم آخر بالفساد

ان صفة الكذب تكاد تكون ملازمة للسياسة،لكنها عند السياسيين العراقيين، صارت كذبا مفضوحا لا يشعر صاحبه بالخجل

المواطن العادي حين يرى ان من كان يعدّه قدوة،او ان حاكمه او المؤتمن عليه ،هو فاسد ومنافق وكذّاب..عندها سيقول لنفسه:(بقت عليّ)..وقد يقرأ على القيم السلام

2.2. منغصـــــات الاســـــــرة

تقصدنا استخدام مفردة (منغصات)..واستعرناها من تعابيرنا الشعبية:حين يقول الاهل(هذا الولد منغّص عيشتنا) او الزوجة التي تقول لزوجها:(الله لا ينطيك..نغصّت عليّ حياتي)..ولكثرة منغصات الأسرة في الزمن الديمقراطي،فاننا نوجز اهمها في الآتي:

الأول: اضطراب العلاقة الأسرية :

اضطربت العلاقة بين الوالدين وابنائهم،ممثلين في جيلين:

أ.جيـــــل الموبايـــــــل.

نشأ لدينا بعد التغيير جيل مراهقين واطفال يمكن تسميته جيل الموبايل او جيل الانترنت،صارت فيها الاسرة قلقة على بنتها المراهقة وابنها المراهق،اللذين بدأت تشتغل عندهما معامل كانت نائمة في مرحلة الطفولة..اهمها الهرمونات الجنسية ،فوجدا في الموبايل ما يشبع او ينفّس عن غريزة كانت خاملة..نشطت بقوة بشكل جعل الاسرة العراقية قلقة على اولادها وبناتها من جانب ووتر العلاقة بينهم،بل ان الأمر وصل الى حالات قتل وحجر وعنف.والمشكلة الاخلاقية هنا ان الموبايل خلق عند

نشأ لدينا بعد التغيير جيل مراهقين واطفال يمكن تسميته جيل الموبايل او جيل الانترنت،صارت فيها الاسرة قلقة على بنتها المراهقة وابنها المراهق

المراهق جرأة..بل خلق عنده وكاحه وتمرّد..وشكوى من الآهل..(لو الله يحبني ما خلقني بهيج عائلة).

ب.جيـــــل الفيسبـــــوك: كان السبب الرئيس الذي دفع الشاب مارك الى ابتكار (الفيسبوك)هو احساسه بأن الناس في المجتمع الأمريكي قد شغلتهم منغصات الحضارة ومتطلبات العمل التي تستنزف طاقات الانسان..عن التواصل الاجتماعي وجها لوجه ،وافتقدوا الحاجة النفسية لكشف الذات وشكوى الهموم لصديق او حبيب فابتكر هذه الوسيلة لتعالج حالة الشعور بالضياع النفسي للفرد في هذا النوع من المجتمعات.

ولقد استمر العراقيون(الفيسبوك)لتحقيق هذا النوع من التواصل الاجتماعي والمعرفي ايضا.لكنه ادى في حالات الى الطلاق..واشاع قيما لااخلاقية جاءت لتكمل قيما هابطة اشاعتها موجة اغاني عراقية من قبيل :(تجي نتزوج بالسر واهلي واهلك ما يدرون،تجي ناخذ بيت ابعيد ونخلف نغل ازغيرون).

المشكلة الاخلاقية هنا ان الموبايل خلق عند المراهق جرأة..بل خلق عنده وكاحه وتمرّد..وشكوى من الآهل

استمر العراقيون (الفيسبوك) لتحقيق هذا النوع من التواصل الاجتماعي والمعرفي ايضا.لكنه ادى في حالات الى الطلاق..واشاع قيما لااخلاقية جاءت لتكمل قيما هابطة اشاعتها موجة اغاني عراقية

الثانـــــي:المخـــــدرات.

تشير الاحصاءات الرسمية الى زيادة عدد المتعاطين للمخدرات والمدمنين عليها.بل ان مدنا عراقية تعدّ محافظة وذات طابع ديني ،مثل كربلاء، جاءت في مقدمة المحافظات في نسبة المتعاطين للمخدرات.

الخطورة في المخدرات انها حرب تستهدف القيم وتفكيك المجتمع..ابشعها انها تضطر المتعاطي لارتكاب جرائم السرقة والقتل.واقبحها انها تدفع بعض المتعاطين والمدمنين الى الخيانة الزوجية وممارسة البغاء والدعارة والقوادة واكراه محارمه على الزنا..بل والزنا بالمحارم.

الخطورة في المخدرات انها حرب تستهدف القيم وتفكيك المجتمع..ابشعها انها تضطر المتعاطي لارتكاب جرائم السرقة والقتل.واقبحها انها تدفع بعض المتعاطين والمدمنين الى الخيانة الزوجية وممارسة البغاء والدعارة والقوادة واكراه محارمه على الزنا..بل والزنا بالمحارم

الثالـــــث: الطـــــلاق

منطقيا،يفترض أن تكون نسب الطلاق في الزمن الديمقراطي أقلّ منها في الزمن الدكتاتوري،لأن الديمقراطية تؤمن العدالة الاجتماعية وتقضي على الفقر والبطالة ،وتشيع الرفاهية والراحة النفسية بين الناس،حيث يعدّ الفقر والبطالة والضغوط النفسية أهم أسباب الطلاق.

تقرير اخباري لفضائية الحرة– عراق بثته مساء الخميس 12/12/27 أفاد ان حالات الطلاق في العراق في تزايد،تتصدرها بغداد الكرخ وتليها الناصرية، ثم النجف في المرتبة الثالثة، مسجلة ارقاما قياسية، وصلت الى (50%) من عدد المتزوجين، لدرجة أن القضاة وصفوا ظاهرة الطلاق بأنها صارت توازي ظاهرة الارهاب!.وأفاد تقرير من احدى محاكم الكرادة بأن عدد حالات الطلاق فيها تتراوح بين (20 – 50)حالة في اليوم الواحد،وأنها صارت مصدر رزق للمحاميات والمحامين وكتّاب العرائض!.

وهنالك ارقام مذهلة عن حالات الطلاق يكفي ان نشير الى ان عدد دعاوى الطلاق في عام 2012 وصلت الى 50 حالة مقابل 100 حالة زواج، اي ان كل مليوني حالة زواج تقابلها مليون حالة طلاق!!..والمفارقة الثالثة أن مدينة النجف بوصفها مدينة محافظة ومقدسة سجلت في الطلاق ارقاما غير مسبوقة تراوحت بين (25–30%) قياسا لعدد المتزوجين..فكيف بمدن عراقية أخرى ليس لها هذا الطابع!.

هنالك ارقام مذهلة عن حالات الطلاق يكفي ان نشير الى ان عدد دعاوى الطلاق في عام 2012 وصلت الى 50 حالة مقابل 100 حالة زواج

3.2. متغيـــــرات سيكلوجيـــــة

أ. حاليا صارت الأسرة تنظر الى هذا الجيل على انه متمرد..عاق.ليس له اهتمام بمستقبله،ولا

ما عادت الأسرة تشكل ،كما كانت، مصدر حماية وشعور بالامن للابناء..ما اضطر المراهق او الشاب الى ان يستخدم نظاما دفاعيا خاصا به

اذ ظهرت فئة قليلة مستحدثة أيضا تتجه نحو الثراء بشعبية مفتوحة ممثلة بالحكومة وأعضاء البرلمان الذين وعدوا الفقراء

دافعية لديه نحو العلم،

ب. وصارت الأسرة لا تفهم متغيرات العصر وهموم هذا الجيل،

ج.وما عادت الأسرة تشكل ،كما كانت، مصدر حماية وشعور بالامن للابناء..ما اضطر المراهق او الشاب الى ان يستخدم نظاما دفاعيا خاصا به.

الكارثـــــة..خطيـــــرة!

تتوافر الآن عوامل كارثة خطيرة غير منظور لها في المجتمع العراقي ، نحدد أهمها بالآتي :

أولا / إن أكثر من 50% من أفراد المجتمع العراقي ولدوا في حرب ونشئوا في حرب ويعيشون الآن أكثر من حرب. هذا يعني أن جيل الشباب بعمر 35 سنة فما دون يمتلك منظومات قيمية تختلف عن المنظومات القيمية لجيل الكبار.فاذا انتبهنا الى أن الحروب التي بطبيعتها تخلخل القيم وتفسدها خاصة إذا كانت طويلة ومتلاحقة وكارثية،واضفنا لها عوامل الفقر والشعور بضياع العمر واليأس من المستقبل والخوف من المجهول التي تعرض لها هذا الجيل ،ندرك انها شكّلت لديهم شبكة منظومات تتصدرها قيم الصراع من أجل البقاء والأنانية وتحليل ما يعد ّحراما أو غير مقبول في المعيار الأخلاقي للمجتمع العراقي..وتقف بالضد من قيم جيل الكبار.وما يزيد الحالة خطورة، أن جيل الشباب قوة تتنامى حجما وفاعلية فيما جيل الكبار قوة تتآكل حجما وينحسر تأثيرها بتقدم الزمن .

ثانيا / معروف أن التخلخل في الهرم الاقتصادي للمجتمع يفضي إلى تخلل في منظوماته القيمية . حدث هذا مرتين،الاولى زمن النظام السابق بأن أعاد توزيع الثروة وخلق تباينا حادا بين طبقتين : أقلية غنية مستحدثة وفقيرة كبيرة ابتلعت الطبقة الوسطى بكل مثقفيها وموظفيها بمن فيهم أساتذة الجامعة.

الثانية تحدث الان في الزمن الديمقراطي..اذ ظهرت فئة قليلة مستحدثة أيضا تتجه نحو الثراء بشهية مفتوحة ممثلة بالحكومة وأعضاء البرلمان الذين وعدوا الفقراء بالرفاهية فزادوهم فقرا،فيما هم يتقاضون رواتب وامتيازات ضخمة(ومقاولات بملايين الدولارات!) فيما المهجّرون لا يجدون قوت يومهم،وينامون مع أطفالهم في الحدائق العامة،وصار عدد الأرامل والأيتام والجياع والثكالى والمهاجرين أكثر بأضعاف مما كانوا عليه في حروب صدام وحصاره.

ثالثا / غياب القدوة(الأنموذج).تقتدي الناس بسلوك راعيها.وفضلا عن افتقاد الحاكم القدوة في الزمن الديمقراطي،فان الذين بيدهم أمور الناس(معممون وأفندية) يمتلكون منظومات قيمية فيها من عوامل التضاد والتناشز أكثر مما فيها من عوامل التماثل والانسجام. ولهذا تأثيران سلبيان خطيران، الأول: تفكيك المجتمع في استقطابات من القيم المتصلبة، والثاني :اضطرار الفرد إلى أن يعرض نفسه سلعة في سوق السياسة تجبره على التخلي عن قيمه الإنسانية والعمل بما يأمره به مصدره السياسي.

رابعا"/ إن الوضع العام بالعراق طارد للذين يمتلكون منظومات قيمية صحية، بخاصة العلماء والمفكرين والمتدينّين المتنورين والمثقفين والفنانين. وهذا يعني أن صراع القيم بالمجتمع العراقي صار بين استقطابين :منظومات قيمية تؤكد على حاجات البقاء والاحتماء والمصالح البراجماتية والقيم الأنانية تتسع وتقوى ،مقابل قيم اخلاقية وانسانية رفيعة تنحسر وتتراجع

الجـــــــــزء الثالـــــــــث

في هذه الحلقة من الدراسة نستكمل ما حصل من تغييرات في القيم ، ونركز في جانب تاريخي للشخصية العراقية

بالرفاهية فزادوهم فقرا،فيما هم يتقاضون رواتب وامتيازات ضخمة

صار عدد الأرامل والأيتام والجياع والثكالى والمهاجرين أكثر بأضعاف مما كانوا عليه في حروب صدام وحصاره

غياب القدوة (الأنموذج). تقتدي الناس بسلوك راعيها.وفضلا عن افتقاد الحاكم القدوة في الزمن الديمقراطي،فان الذين بيدهم أمور الناس(معممون وأفندية) يمتلكون منظومات قيمية فيها من عوامل التضاد والتناشز أكثر مما فيها من عوامل التماثل والانسجام

إن الوضع العام بالعراق طارد للذين يمتلكون منظومات قيمية صحية، بخاصة العلماء والمفكرين والمتدينّين المتنورين والمثقفين والفنانين

أن صراع القيم بالمجتمع العراقي صار بين استقطابين :منظومات قيمية تؤكد على حاجات البقاء والاحتماء والمصالح البراجماتية والقيم الأنانية تتسع وتقوى ،مقابل قيم اخلاقية وانسانية رفيعة تنحسر وتتراجع

كان لديّ شك يتاخم اليقين أن الشخصية العراقية أكثر

والجميل فيها والقبيح، ونختتمها بالجانب المشرق الحالي للقيم في المجتمع العراقي.

1-3 العراقي..وعقدة الخلاف مع الآخر.

كان لديّ شك يتاخم اليقين أن الشخصية العراقية أكثر ميلا الى الخلاف مع الآخر منه الى الاتفاق. وتحول هذا الشك الى يقين بعد أحداث السنوات التي تلت عام 2003 ، فرحت أبحث عن اسبابه فوجدت أن هذه الصفة ليست من صنع حاضر قريب او بعيد ، انما تعود الى تاريخ يمتد الاف السنين ، وانها ليست ناجمة عن سبب بعينه (القول ان العراقيين جبلوا على هذه الصورة مثلا) انما عن شبكة معقدة من الأسباب تفاعلت فيما بينها فأنتجت الشخصية العراقية بهذه الصورة .وقبل استقصاء عدد من هذه الاسباب اودّ ذكر معلومة قد تبدو جديدة للبعض.

هنالك نظرية في الشخصية تسمى النظرية التطورية Evolutionary ترى أن المورّثات " الجينات" السلوكية تخضع لقانون الانتخاب الطبيعي فتعمل – عبر التاريخ التطوري للانسان -على تقوية مورّثات "جينات" سلوكية معينة واضعاف مورّثات اخرى (مقارب لقانون دارون :البقاء للأصلح). وهذا يعني أن الأحداث التي عاشها الانسان عبرتاريخه التطوري تدخلت في عمل المورّثات "الجينات " بثلاث صيغ : تقوية مورّثات معينة ، واضعاف أخرى ، ودثر أخرى .

تأسيا على ذلك فاننا – أبناء هذا الجيل من العراقيين – لسنا فقط نتاج تكويننا البيولوجي الخالص،انما ايضا نتاج ما صنعته الأحداث من تأثير في مورّثات " جينات " أسلافنا العراقيين . ولك أن تقول : ان " جيناتنا "الحالية مشّفرة أو مسجّل عليها الأحداث التي عاشها أجدادنا ، وأننا نقرأ عناوين هذه الأحداث ونرى صورا منها عبر سلوكنا وتصرفاتنا.

ولكي لا يساء الفهم او يستنتج من قولي هذا أنني أميل الى تغليب العوامل البيولوجية في تكوين الشخصية، فانني أعدّ الموروث الثقافي من أهم عوامل تكوين الشخصية . وأعني بالثقافة : القيم "بأنواعها الستة " بما فيها المعتقدات. وأزعم أن الثقافة – بالمفهوم أعلاه – تعمل على تكوين " مركز سيطرة" داخل الفرد يقوم بتوجيه سلوكه نحو أهداف محددة ، وأن الاختلاف بين الأفراد ، في سلوكهم وتعاملهم مع الناس والأحداث ، يعود في واحد من أهم أسبابه الى مركز السيطرة الثقافي هذا .

اتصاف الشخصية العراقية بسيكولوجيا الخلاف مع الآخر يعود الى أن العراق ينفرد عن بلدان المنطقة بأمور وأحداث لها تاريخ يمتد الاف السنين يتمثل أهمها بالآتي :

انه البلد الذي تؤخذ فيه السلطة بالقوة المصحوبة بالبطش بمن كانت بيده .

وأنه البلد الذي سفكت على أرضه أغزر دماء المحاربين من العراقيين والعرب والأجانب، لاسيما : المغول والأتراك والفرس والانجليز...وأخيرا ، الامريكان .

وأنه البلد الذي نشأت فيه حضارات متنوعة ومتعاقبة ، انهارت أو أسقطت بفعل صراع داخلي أو غزو أجنبي .

ميلا الى الخلاف مع الآخر منه الى الاتفاق. وتحول هذا الشك الى يقين بعد أحداث السنوات التي تلت عام 2003

هنالك نظرية في الشخصية تسمى النظرية التطورية Evolutionary ترى أن المورّثات " الجينات" السلوكية تخضع لقانون الانتخاب الطبيعي فتعمل – عبر التاريخ التطوري للانسان -على تقوية مورّثات "جينات" سلوكية معينة واضعاف مورّثات اخرى

أن الأحداث التي عاشها الانسان عبرتاريخه التطوري تدخلت في عمل المورّثات "الجينات " بثلاث صيغ : تقوية مورّثات معينة ، واضعاف أخرى ، ودثر أخرى

لسنا فقط نتاج تكويننا البيولوجي الخالص،انما ايضا نتاج ما صنعته الأحداث من تأثير في مورّثات " جينات " أسلافنا العراقيين

ان " جيناتنا "الحالية مشّفرة أو مسجّل عليها الأحداث التي عاشها أجدادنا ، وأننا نقرأ عناوين هذه الأحداث ونرى صورا منها عبر سلوكنا وتصرفاتنا

انني أعدّ الموروث الثقافي من أهم عوامل تكوين الشخصية . وأعني بالثقافة : القيم "بأنواعها الستة " بما فيها المعتقدات

وأنه البلد الذي تنوعت فيه الأعراق والأديان والمذاهب ، في مساحة مسكونة صغيرة نسبيا.

الثانية إن المجتمع العراقي يختلف عن المجتمعات الأخرى بأنه شعب منتج لأصناف متضادة من البشر بمواصفات عالية الجودة . فنحن منتجون لمبدعين ومفكرين وشعراء ورجال دين وشيوخ عشائر من طراز رفيع ، وبالمقابل نحن منتجون لقتلة ورعاع وغوغاء بمواصفات " عالية الجودة "، ولكم أن تستشهدوا بقتلة العائلة المالكة عام 58 والطواف بكفوف أيديهم في حشود هائجة بهستيريا الفاقدين لوعيهم الإنساني، وقتلة عبد الكريم قاسم والشيوعيين والوطنيين وإذابتهم أحياء بالتيزاب عام 63، وقتلة البعثيين ووضع إطارات السيارات برقابهم وحرقهم وهم أحياء عام 91ونحن منتجون للطغاة.. نرفعهم الى السماء حين يكونون في السلطة ونمسح بهم الأرض حين يسقطون، وبالمقابل نحن منتجون لأبطال تشوى أجسادهم بالنار وما يتنازلون عن مبادئهم . ونحن منتجون لمن يفلقون رؤوسهم بالحراب من أجل التاريخ والموت فداء لمن ماتوا ، ومنتجون لمعتقدين عن يقين بأن تاريخهم مزوّر وأسود ومعرقل للتقدم يجب غلق غلافه الأخير. ونحن منتجون لمن يعرفون بالغيرة العراقية والأنفة، ومنتجون أيضا لناهبين من طراز رذيل ، ولا أرذل من سلوك ينهب الناس فيه وطنهم ، حتى صيروا الفرهود شطارة يتسابقون إليه حيثما حلّت بالوطن محنة وعلى هذا الإيقاع الثنائي لك أن تضيف ما تشاء من المتضادات التي يكاد ينفرد بها الشعب العراقي عن باقي الشعوب من حيث مواصفاتها "عالية الجودة ".

2.3. الوجـــــه الآخـــــر للقيـــــــم

لقد ركزنا على ما احدثه التغيير من اشاعة قيم سلبية احدثت تخلخلا في بنية المجتع العراقي وتهدد الآن بتفككه،وتعرض وحدة العراق الى التقسيم.وهدفنا من ذلك هو جلب الانتباه المشغول بالسياسة للقيام بمعالجات جدية لدرء هذين الخطرين المهلكين :تفكك المجتمع وتقسيم الوطن ،اللذان يفضيان بحتمية سيكولوجية الى الكراهية والاحتراب.

مقابل هذه الصورة القاتمة هنالك صورة مشرقة للقيم في المجتع العراقي ،تتمثل في جيل الكبار الذين يعدّون خميرة العراق في القيم العراقية وبدونهم يخلو العراق من الأنموذج القدوة الذي يعكس الوجه الجميل للشخصية العراقية.وهنالك بين جيل الشباب من يحمل قيما راقية..متطورة..يعملون بجد ونشاط على اشاعتها بين الناس بقوافل شعرية تتجول بين المحافظات ،ومؤسسات ثقافية مثل مؤسسة المدى ،وتشكيلات ثقافية مثل ..انا عراقي ..انا اقرأ..ونشاطات مسرحية وفنية تشيع ثقافة الحب والجمال..وتصد ثقافة القبح التي شاعت بعد التغيير.

ومع ذلك فان المزاج العام عن واقع العراق الان يجعلنا نتساءل مع قول الشاعر:

متى من طول نزفك نستريح سلاما ايها الوطن الجريح.

ولأننا ،نحن المهتمين بعلم النفس والاجتماع السياسي، نرى ان الظواهر الاجتماعية تحكمها قوانين اجتماعية، فان النزف العراقي لن يتوقف الى عام 2018 ،فاما سينزف العراق كلّ دمه..واما يتوقف..وعندها..قد نحتفل في يوم موعود بفرح عراقي جميل.

أن العراق ينفرد عن بلدان المنطقة بأمور وأحداث لها تاريخ يمتد الاف السنين يتمثل أهمها بالآتي :

1. انه البلد الذي تؤخذ فيه السلطة بالقوة المصحوبة بالبطش بمن كانت بيده

أنه (العراق) البلد الذي سفكت على أرضه أغزر دماء المحاربين من العراقيين والعرب والأجانب، لاسيما : المغول والأتراك والفرس والانجليز...وأخيرا ، الامريكان

إن المجتمع العراقي يختلف عن المجتمعات الأخرى بأنه شعب منتج لأصناف متضادة من البشر بمواصفات عالية الجودة

نحن منتجون لمبدعين ومفكرين وشعراء ورجال دين وشيوخ عشائر من طراز رفيع ، وبالمقابل نحن منتجون لقتلة ورعاع وغوغاء بمواصفات " عالية الجودة

نحن منتجون للطغاة.. نرفعهم الى السماء حين يكونون في السلطة ونمسح بهم الأرض حين يسقطون

نحن منتجون لأبطال تشوى أجسادهم بالنار وما يتنازلون عن مبادئهم

اصـــدارات " شبكـــة العلـــوم النفسيـــة العربيـــة "

اصـــدارات محمية بكلمـــة عبـــور للمشتركيـــن

المجلـــة العربيـــة للعلـــوم النفسيـــة (اصدار فصلي)
http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm

*** ***

الكتـــاب العربـــي للعلوم النفسية (اصدار فصلي)
http://www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBooks.htm

*** ***

المعجـــم الموســـع للعلـــوم النفسيـــة (اصدار فصلي)

http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Dict.Ar.htm
http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Dict.htm
http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Dict.Fr.htm

*** ***

المعجـــم المختص للعلـــوم النفسيـــة (اصدار فصلي)

المعجم المختص في علم النفس الجنسي

الإصدار العربي

(عربي - إنكليزي - فرنسي)

http://arabpsynet.com/AlMukhtass/index.ALMukhtass.htm

اصـــدارات " شبكـــة العلـــوم النفسيـــة العربيـــة "

اصـــدارات التحميـــل الحـــر (غير محمية بكلمة عبور)

مجلـــة "بصائـــر نفسيـــة" (اصدار فصلي)
http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm

*** ***

سلسلـــة اصدارات " وفي انفسكم "(اصدار فصلي)
http://www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBooks.htm

*** ***

سلسلـــة اصدارات " الراسخون "
اصدار لجنة التـــراث النفســـي العرباسلامـــي
http://www.arabpsynet.com/TourathPsy/index.TourathPsy.htm

*** ***

سلسلـــة "الكتـــابالابيـــض" للعلـــوم النفسيـــة العربيـــة (اصدار سنوي)
www.arabpsynet.com/WhiteBooks/eWBIndex.htm

*** ***

سلسلـــة اصـــدارات "الإنســـان والتطـــور" حســـب المحـــاور
http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/IndexRakAr.htm

*** ***

المعجـــم الوجيـــز للعلـــوم النفسيـــة (اصدار فصلي)
http://www.arabpsynet.com/eDictBooks/IndexDictBook-Ar.htm
http://www.arabpsynet.com/eDictBooks/IndexDictBook-Fr.htm
http://www.arabpsynet.com/eDictBooks/IndexDictBook-Eng.htm

*** ***

سلسلـــة اصـــدارات "و ماسواها" (اصدار فصلي)
http://www.arabpsynet.com/Samarrai/IndexSamarrai.htm